

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات، مصنفة "C"

شروط النشر وضوابطه

- المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.
- دورية تصدر مرتين في السنة عن جامعة تيسمسيلت. الجزائر.
- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.
- ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.
- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (21/29.7) بهامش 1.5 سنتيم عن يمين الصفحة وعن يسارها وهامش 1.5 سنتيم عن أعلى الصفحة وأسفلها.
- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة الفرنسية بخط (Times new roman) حجم (12)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (10).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.
- لا يقل حجم البحث عن 10 صفحات ولا تتجاوز 15 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُرَدّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسؤولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسؤول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

المجلد الثالث عشر العدد 1 جوان 2022

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

تصدر عن جامعة تيسمسيلت - الجزائر

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz

جامعة تيسمسيلت . الجزائر.

الهاتف/الفاكس : 046573188

البريد الإلكتروني: www.cuniv.tissemsilt.dz

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:

أ. د. دهم عبد المجيد

المدير المسؤول عن النشر:

أ. د. عيساني المجد

رئيس التحرير:

أ. د. مرسي رشيد.

نائب رئيس التحرير:

أ. د. علاء عبد القادر، د. دهقاني أيوب

سكرتير المجلة:

عرجان نورة

هيئة التحرير:

د. محي الدين محمود عمر د. بن رابع خير الدين، د. بوسيف إسماعيل، أ. د. شريط عابدين، أ. د. روشو خالد، أ. د. سعادية الهواري،

الهيئة العلمية:

من جامعة تيسمسيلت: أ. د. غربي بكاي، أ. د. شريف سعاد، د. يعقوبي قدوية، أ. د. مرسل مسعودة، أ. د. بن علي خلف الله، أ. د. زواينة محمود، أ. د. دردار البشير، أ. د. فايد محمد، د. بوغاري فاطمة، أ. د. بوزيان أحمد، من جامعة صفاقس، تونس: أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوبكر بن عبد الكريم، من جامعة المنصورة، مصر: د. محمد كمال سرحان، من جامعة طرابلس، ليبيا: د. أحمد شرشاش، من الجامعة الأردنية، الأردن: أ. د. صادق الحايك، من جامعة الجزائر 03، الجزائر: د. فتحي بلغول، من جامعة لمين دياغين، سطيف: أ. د. بوطالي بن جدو، من جامعة وهران: أ. د. مختار حبار، من جامعة سيدي بلعباس: أ. د. محمد بلوحي، من جامعة سعيدة: د. عبد القادر راجي، من جامعة تلمسان: أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، من جامعة تيزي وزو: أ. د. مصطفى درواش، من جامعة مستغانم: د. منصور بن لكلل، من جامعة زيان عاشور، الجلفة: د. حري سليم، من جامعة حسنية بن بوعللي، شلف: أ. د. حفصاوي بن يوسف، أ. د. موسى فريد، أ. د. بوراس محمد، أ. د. علاء عبد القادر، أ. د. روشو خالد، أ. د. مرسي مشري، أ. د. لعروسي أحمد، د. قززان مصطفى، أ. د. محمدي قادة، د. عيسى إسماعيل، د. ضوفي حمزة، د. كروش نور الدين، د. بوكريد عبد القادر، د. عادل رضوان، من جامعة ابن خلدون تيارت: أ. د. عليان بوزيان، أ. د. فثاك علي، أ. د. بومساحة الشيخ، أ. د. بن داود إبراهيم، أ. د. شريط عابدين.

UNIVERSITE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE: CRISTINE Mensson. أ. د. شريط عابدين.

كلمة مدير النشر

أيها القارئ الكريم:

يسرّ أسرة مجلة "المعيار المصنفة (C)" التي تصدر عن جامعة أحمد بن يحيى النشرية بتيسيسيلت أن تقدّم إليك العدد الأول من المجلد الثالث عشر وهي إحدى قنوات الجامعة العلمية، وقد اكتسبت مجلتنا قيمتها العلمية ومكانتها الأكاديمية بما تتسم به من مواصفات علمية وكذلك بفضل مجالاتها البحثية المتنوعة.

- تضمّ لجنتها العلمية أسماءً لها وزنها العلمي في الوسط الجامعي، من داخل وخارج الوطن.
 - تنوّع اختصاصات أعضاء لجنة القراءة، إذ تراوحت بين الأدب، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، والحقوق والعلوم السياسية، والاقتصاد، والنشاطات الرياضية والبدنية، واللغات.
 - تنوّع تخصّصات أبحاث العدد إذ جاءت موزّعة بين اللغة والأدب والنقد، والعلوم الإنسانية، والحقوق والعلوم السياسية، والاقتصاد، والنشاطات الرياضية والبدنية، واللغات.
 - تمنح المجلة فسحة للمقالات المترجمة، وللأبحاث الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية).
- وتجدّد أسرة المجلة دعوتها لكلّ الباحثين بالالتفاف حول هذا المنبر الأكاديمي بمساهماتهم العلمية، ولهم منّا كل التقدير والعرفان.

المدير المسؤول عن النشر

أ. د. عيساني المجد

فهرس الموضوعات

20-09	Ethnic Borders and Identity Politicization in Algeria شيخاوي أحمد، جامعة سعيدة (الجزائر).
35 -21	التنمر الوظيفي في القطاع الصحي ملال خديجة، ملال صافية، مدوري وردة، مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية- جامعة وهران2 (الجزائر)
45-36	الأدب النسوي الجزائري: اضطراب المصطلح وفاعلية الحضور قردان الميلود ، جامعة تيسمسيلت (الجزائر).
63-46	المورد البشري وتحديات التغيير التنظيمي مصطفى حاج الله، عبد الفادر جراد ، جامعة يحي فارس المدية (الجزائر).
77-64	أهمية تطوير الشراكة الاقتصادية الجزائرية التركية لبناء تكامل إقليمي سلطاني محمد رضا، جامعة تيسمسيلت (الجزائر).
100-78	سبل ترقية الاستثمار السياحي الوطني زلاطو نعيمة، .سدواي نورة، حداشي حكيم، جامعة تيسمسيلت، المركز الجامعي البيض، جامعة تيارت (الجزائر).
117-101	نظرة محمد العربي زبيري لواقع المدرسة التاريخية في الجزائر من خلال المصادر المطبوعة والالكترونية. سعيد جلاوي، جامعة البويرة (الجزائر).
139-118	دراسة تنميطية لعينة من المصاييح المكتشفة بالموقع الأثري ملاكو (ولاية بجاية) دموش سميرة ، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2 (الجزائر).
147-140	ذاكرة الصحراء: حوار بين السردى والتاريخى من خلال "رواية تفاحة الصحراء" لمحمد العشرى. بلقاسم بعزیز، عمر بن دحمان. جامعة، تيزي وزو، (الجزائر).
160-148	الطلاق العاطفي قراءة في الأسباب والمظاهر وطرق التدخل بوشريط نورية، جامعة تيارت (الجزائر).
189-161	منظور الزمن وتأثيره على تبني استراتيجية مواجهة الضغوط النفسية في ظل وباء كورونا دراسة مقارنة بين طالبات الجامعة المصاب أحد آبائهن بكوفيد 19 وغير المصابين به عيسى رمانة، خالد بن عيسى، جامعة الوادي، جامعة تلمسان (الجزائر).
199-190	Literature reviews in sociological research Toual Abdelaziz, University of Djelfa, Algeria ,Toumi Belkacem ,Kheiri Nouh
217-200	تأثير الضغوط النفسية على أداء التلاميذ المتفوقين رياضيا أثناء عملية الإنتقاء في الرياضة المدرسية من وجهة نظر أساتذة التربية البدنية والرياضية في التعليم الثانوي. سي العربي شارف، مخبر القياس والتقويم، جامعة تيسمسيلت (الجزائر).
238-218	تباين السلوك الإنجابي بين المناطق الجغرافية في الجزائر من خلال قاعدة بيانات المسح الوطني العنقودي السادس متعدد المؤشرات. شهرزاد طويل، جامعة تلمسان (الجزائر).
253-239	المورد البشري وفعالية المنظمة زروق علي، عبد الستار السحباني، جامعة تونس العاصمة (تونس).
270-254	توظيف مؤشرات تصنيف ويبومتر كس في تحسين ترتيب الجامعات

	راشدي عبد المالك، فارس شاشة، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
283-271	إسهام علماء المسلمين في ميدان علوم الطبيعة والحياة - نماذج من أدب التأليف والتصنيف - رمضان حسين، جامعة تيارت (الجزائر).
298-284	واقع جرائم الجنس اللطيف: تحليل سيميولوجي لصور من عمق المجتمع. لكحل صليحة، جامعة تيمسليت (الجزائر).
299-307	Women's Enabling Strategies in Algerian Non-Governmental Organisations: Religion Strategy Dieb Siham, Benneghrouzi Fatima Zohra, Mostaganem University (Algeria)
308-324	المعاملة الوالدية وعلاقتها بالسلوك العدواني لدى الأطفال ذوي الإعاقة الذهنية القابلين للتعليم، برحاييل وهيبه، عتيق منى، جامعة عنابة (الجزائر)
337-325	متلازمة الدور القبلي والمذهبي في النزاع اليمني أحمد عبد الباقي مقبل الفقيه، جامعة عنابة (الجزائر)
350-338	وجوه الإعجاز القرآني عند الإمام ابن عطية ياسع لخضر بن ناصر، عبد الحميد الدايم، مخبر الدراسات الشرعية، جامعة تلمسان (الجزائر)
363-351	أدوات العطف بين التصور اللساني والبعد الحجاجي تجاني حبشي، جامعة الجلفة (الجزائر)
372-364	إحصائيات زوار المتحف العمومي الوطني سطيف في ظل فيروس كوفيد 19 (دراسة تحليلية). رزقي فهيمه، جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)
386 -373	مساهمة الجباية البترولية في التنمية الاقتصادية بالجزائر في ظل تقلبات أسعار البترول خلال الفترة 2000-2019 باستخدام تحليل المسار. بربار حفيظة، بولومة هجيرة، جامعة سعيدة (الجزائر)
402 -387	النشر العلمي في البوابة الجزائرية للمجلات العلمية ASJP بين الاستخدام والإتاحة : الأساتذة الباحثين بجامعة الجلفة أنموذجا. المهوب كسكس، زينب بن الطيب، جامعة باتنة 1 (الجزائر)
421-403	تشخيص واقع خصائص المنظمة المتعلمة في جامعة المدية من وجهة نظر الأساتذة الباحثين هاجر ترغوين، رشيد سامي، جامعة المدية، جامعة تمنراست (الجزائر)
431 -422	مهارات التفكير الميتماعرفي وعلاقتها باكتساب المعارف لدى طلبة معاهد التعليم والتكوين المهني -دراسة ميدانية-. لعزيلي فاتح، بن نويوة سعيد، جامعة البويرة (الجزائر)
443-232	صناعة الزربية التقليدية ودورها في تفعيل التراث الثقافي في الجزائر-دراسة ميدانية بمنطقة قلعة بني راشد بولاية غليزان - بلفوضيل نصيرة، صفاح أمال فاطمة الزهراء، مخبر الدراسات الشرعية، جامعة تلمسان (الجزائر)
455-444	محركات الإغراء السردية في رواية كاماراد للكاتب الصديق حاج أحمد. نوال بومعزة، جامعة الوادي (الجزائر)
466-456	أزمة معبر الكركرات وتداعياتها على مسار التسوية الأممية في نزاع الصحراء الغربية 2020-2021. أسامة بوشماخ، جامعة تيسمسيلت (الجزائر)
479-467	فن السخرية وتجلياته في مسرحية القليل يا ملك الزمان لسعد الله ونوس. عمر كشيدة، نجلاء نجاحي، جامعة ورقلة (الجزائر)

496-480	المرافق الترفيهية والترفيهية في ولاية جيجل بين الواقع والمأمول. مدينة العوامة أنموذجا. عمر بوسكرة ، سليمة عبد السلام، سليمة بوخيوط ، جامعة المسيلة (الجزائر)
510-497	آفاق الانتقال والتحول الديمقراطي في تونس بعد 2010. نش حمزة ، جامعة تيسمسيلت (الجزائر)
525-511	آفاق الانتقال والتحول الديمقراطي في تونس بعد 2010. نش حمزة ، جامعة تيسمسيلت (الجزائر)
540 - 526	بنية الفكر الاستشراقي في روايات أمين معلوف "رحلة بالداसार نموذجاً": إبراهيم بوخالفة، المركز الجامعي – تيبازة
551 -541	La professionnalisation du métier d'enseignant the professionalization of the teaching profession Hammoudi nabil, universite badji mokhtar.. Annaba, boudechiche nawal université chadli bendjedid. El-tarf.
568/ 552	قراءة في اتفاقية تريبس (TRIPS) ربحي امحمد ، جامعة تيسمسيلت، لعروسي أحمد، جامعة تيارت
591 -569	Le potentiel touristique en Algérie entre la réalité et les attentes Tourism potential in Algeria between reality and expectations c-u Université Ali lounici, Blida 02, Khelifi amina Nadia rouchou, morseli abdellah tipaza.
601 - 592	بناء الحدث في رواية "دمية النار" لبشير مفتي شريط جميلة، جامعة، تيسمسيلت
615 - 602	عتبات الشواهد النصية عند إبراهيمي معلمة للالتقاء وملحمة للارتقاء فوزية عزوز، المركز الجامعي مغنية
630- 616	الأسواق في فترة مابعد تخفيف قيود التباعد الاجتماعي في الجزائر- دراسة أنثروبولوجية بالسوق الاسبوعي لوادي أرهيو ميداني قدور، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، علم الإنسان والتاريخ CNRPAH
644 - 631	عمارة المساجد في المغرب الأوسط بين القرنين 2-3 هـ / 8-10 م مزردى فاتح، جامعة البليدة 2
663 - 645	تقويم محتوى التعبير الشفوي وفق المقاربة النصية- دراسة ميدانية- الثالثة ثانوي أنموذجا شامي مليكة، جامعة، وهران 01، عبد الكريم بكري، جامعة، وهران 01
678 - 664	الدور التربوي للأسرة الجزائرية في تحقيق الأمن المجتمعي على ضوء تحديات العولمة الثقافية أمينة زرداني، جامعة سطيف 2، رضا شوادرة، جامعة سطيف 2
689 - 679	ظاهرة الاغتراب في الشعر الجاهلي بولعشار مرسل، جامعة تيسمسيلت، بوشيبة حبيب، جامعة غليزان
704 - 690	الحاجات النفسية لدى الطالب الجامعي في ضوء نظرية التقرير الذاتي قسم العلوم الاجتماعية جامعة أم البواقي هبازة مروي، جامعة سطيف 2، بوصلب عبد الحكيم جامعة سطيف 2
730 - 705	بطاقة الأداء المتوازن كآلية لتقييم الأداء في المؤسسة الاقتصادية - دراسة ميدانية لمؤسسة صوفاكت

	قرومي الحسين، جامعة تيسمسيلت، واضح أحمد الأمين، جامعة تيسمسيلت، خروبي محمد فيصل، جامعة تيسمسيلت
1026 - 1010	مقاربة سوسيولوجية للكتابات الحائطية- دراسة ميدانية لعينة من شباب منطقة بومرداس- زعاف خالد، جامعة البويرة، حيتامة العيد، جامعة جيجل
1045 - 1027	جريمة ترك الأسرة من منظور قانون العقوبات الجزائري والفقهاء الإسلامي ليلي إبراهيم العدواني، جامعة المسيلة
1058 - 1046	التراث المعماري الحي في الجزائر وسُبل تثمينه وحمايته -خزان حديقة بارال سابقا بسطيف دراسة حالة- صالح الدين بلقيدوم، جامعة الجزائر 2، محمد المصطفى فيلاح، جامعة الجزائر 2
1075 - 1059	دور تقييم السياسة العامة في تجسيد الحكم الرشيد في الجزائر حمادي مصطفى، جامعة تيزي وزو، عمروش عبد الوهاب، جامعة بومرداس
1090 - 1076	مشكلات تلقي النحو العربي عند الناشئة متوسطة أحمد رضا حوحو (بسكرة) أنموذجا فوزية دندوقة، جامعة بسكرة، فطومة لحماضي، جامعة سوق أهراس، شهيرة زرناجي جامعة بسكرة

الخطاب الديني الإسلامي والحداثة بين التصادم والتوافق

Islamic religious discourse and modernity between collision and adaptation

عمر داود*

جامعة - تيارت (الجزائر)

OMAR.DAOUUD@univ-tiaret.dz

ملخص:	معلومات المقال
تحاول هذه الورقة البحثية إثارة إشكالية علاقة الخطاب الديني الإسلامي بالحداثة الغربية وانعكاساتها على واقع المجتمعات الإسلامية؛ وبعد تحديد المفاهيم الأساسية لإزالة اللبس والغموض عنها، تم رصد المراحل التي مرّ بها هذا الخطاب وكشف تبعات الاصطدام الحضاري بالحداثة الغربية وعملياتها التحديثية. وقد نتج عن هذا التصادم بين الطرفين غير المتكافئين علاقات معقدة تتأرجح بين التوافق الذي يستند إلى التكيف والتفاوض غير المعلن، والمواجهة التي تزيد من حدتها تلك التدخلات الغربية في الشأن الديني الإسلامي، ومحاوله فرض نموذجها الانتقائي، فكان لزاماً القيام بالمراجعة المستمرة لهذا الخطاب ومحاولات اكتشاف صيغ جديدة للحداثة من داخل المرجعية الإسلامية والخصوصية المجتمعية.	تاريخ القبول: 2022/03/27
	الكلمات المفتاحية: ✓ الخطاب الديني. ✓ الحداثة. ✓ التحديث.
Abstract :	Article info
This article attempts to raise the problematic relationship between Islamic religious discourse and Western modernity and its manifestations in the reality of Islamic societies, this meeting resulted in a complex relationship between them which oscillated between negotiation and confrontation. The issue was further complicated by Western intervention in Islamic religious affairs in an attempt to impose its eclectic model, from then on; it became necessary to review this discourse and to seek to find a particular modernity, which is compatible with the Islamic reference and the particularities of society.	Received 27/03/2022.
	Keywords: ✓ Religious discourse. ✓ Modernity. ✓ Modernization.

. مقدمة:

أصبح الحديث عن واقع الخطاب الديني الإسلامي ضرورة تفرضها التحولات المعاصرة؛ التي مَوَقَّعت ثقافة المجتمعات الإسلامية في موضع مواجهة مع الحداثة المعاصرة، باعتبارها مشروعاً منظومةً من القيم والأفكار التي نشأت في سياقات تاريخية ومكانية محددة، ونتيجةً لما يشهده عالم اليوم من ثقاف وممارسات تدخل ضمن ما يسمى بالتنميط الثقافي أو بالأحرى التحديث القسري -باسم التحرر تارة، وباسم القيم الكونية تارة أخرى- ظهرت قطائع وتصدعات في خصوصيات المجتمعات تجلت على شكل أزمات هوياتية من جهة، واختلالات وتعارضات معرفية تواجه الخطاب الديني الكلاسيكي، فما كان على الخطاب الديني الإسلامي إلاّ مواجهة موجات هذا التحديث القسري بخلفياته ومخلفاته وردود أفعاله، فهل سيصمد هذا الخطاب ويتصدى لقوة هذه الموجات، أم أنّه سينخرط في الخط الحداثي ويعيد بناء فكره وفق المتطلبات العقلانية للحداثة المعاصرة؟ تُبرر هذه الإشكالية وغيرها من الإشكاليات المرتبطة بعلاقة الخطاب الديني بالحداثة الحاجة إلى الاشتغال بموضوع واقع الخطاب الديني الإسلامي في الجزائر، لذلك فإنّ هذه المداخلة لا تدّعي الإجابة على كلّ الإشكالات المطروحة؛ بقدر ما تطمح إلى استقراء الجوانب الغامضة والخفية لهذه المواجهة بين الخطاب الديني الإسلامي والحداثة بمحاولاتها التحديثية القسرية التي تعرضت ولا تزال تتعرض لها الأمة الإسلامية في عمومها، والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

وأما في الاقتراب أكثر من هذا الموضوع نقترح خمس عتبات قرائية ممهدة، ومستفزة لبعضها البعض، مع التأكيد قبل البدء أن الأمر يتعلق بمحاولة للفهم لا تدعي لنفسها الكمال لموضوع سجالي بامتياز يستوجب التنسيب لا المطلقية.

2. مفهوم الخطاب والخطاب الديني:

يعني الخطاب لغةً: الكلام (الفيروز آبادي، 2009، ص379)، وقد جاء في لسان العرب أنّ الخطاب يعني: «مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب» (بن منظور، 1418هـ، ص118)، ويمكن القول أنّ المعاجم اللغوية العربية قدّمت في مجملها بعض الدلالات والمترادفات الأخرى لهذه اللفظة التي لا تخرج عن إطار اعتبار الخطاب كلاماً وحديثاً، وقد نكون مدينين للباحث المغربي علي أومليل الذي ميّز بين نوعين من الخطاب؛ خطابٌ يحمل أمراً مقدساً شرعياً أو خبراً من السماء يفرض تصديقه، وخطابٌ يُخبر عن وقائع أو حوادث من عالم الطبيعة (أومليل، 1984، ص42).

والمقصود بالخطاب الديني هو ذلك الخطاب الذي يستند على المرجعية الإسلامية ومصادرها التشريعية كالقرآن والسنة، وسائر المصادر الإسلامية الأخرى سواء أكانت نتاج اجتهادات فردية متفرقة أم جماعية كخطابات الجماعات الإسلامية أو المؤسسات الدعوية الرسمية أو العرفية، ويُصنف إلى الركن المقدس والركن الاتباعي والتراثي (جرادي وبن الحبيب، 2016، ص130)، ويتمحور الخطاب الديني في الغالب حول القضايا الدينية، ويستند محتوى الخطاب الإسلامي إلى الدين الإسلامي

وتراثه، ويهدف إلى تعبئة المسلمين، وتحسينهم ضد محاولات محو شخصيتهم وهويتهم، ويتميز باعتماده على اللغة العربية الفصيحة ذات النفس التقليدي (حمدي، 2001 ص 23).

ما يعني أن لهذا الخطاب القدرة على التعبير عن المخيال الجمعي، والتحكم فيه إلى حد ما باعتباره فعلاً اتصالياً يمتلك القدرة على التأثير في نفسية المتلقين وإقناعهم، والوصول إلى إحداث تغييرات في رؤاهم ودلالات أفعالهم الاجتماعية نظراً لاستناده على النصوص الدينية المقدسة التي تحمل مجموعة من القيم والتأويلات والقناعات.

3. مفهوم الحداثة والتحديث:

تُشتق لفظة الحداثة من فعل «حَدَثَ حَدَثًا وحَدَاةً»، وهو نقيض قَدَمٌ» (الفيروز آبادي، 2009، ص 269)، وتربطها مادلين غرافيتس Madeleine Gawitz بالحياة الحضرية والممارسة الديمقراطية للمجتمعات الإنسانية (Grawitz, 2004, p279)، وغالبًا ما يُوظف هذا المفهوم لوصف خصائص المجتمعات الحديثة المتطورة نتيجة ما أفرزته جملة التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عرفت أوروبا خلال العصر الحديث الذي يلي العصور الوسطى (لبصير، 2010، ص 201)، وبالرغم من وجود اختلاف في تحديد البدايات الأولى لظهور الحداثة في الغرب؛ فإنها قد تشكلت نتيجة أحداثٍ مفصلية مرّت بها أوروبا، منها: ما يسمى بالنهضة والإصلاح الديني، واكتشاف العالم الجديد، والثورة الفرنسية، والثورة الصناعية، ومختلف الثورات العلمية التي عمقتها ورسختها، وصولاً إلى نشوء الدولة الحديثة المركزية المنفصلة عن الإمبراطوريات الدينية الكبرى، وقد استنبط المفكرون الألمان بخاصة البنية الفكرية للحداثة المتمثلة أساساً في مركزية الإنسان، والحرية، وأولوية العقل، وبالرغم من ذلك فلم يختلف علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا حول مفهوم من المفاهيم قدر اختلافهم في تحديد مفهوم الحداثة، حيث تضاربت وجهات النظر والمنطلقات والخلفيات الأيديولوجية، وتعددت إجاباتهم عن آليات الحداثة، وكون الحداثة هي الطريق الوحيد الموصل إلى العالمية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن التساؤل عن إمكانية الجمع بين الحداثة واحتفاظ الجماعات المحلية بهويتها وذاتيتها الثقافية وتراثها الديني في ظل محاولات فرض السيطرة الثقافية والاجتماعية التي تمارسها المجتمعات المتقدمة على بعض الدول بما في ذلك دول ومجتمعات العالم الإسلامي.

ما يجرنا للحديث عن علاقة الحداثة بالدين ومقدساته، فيعتقد بذلك جيف فاونتين Jeff Fountain أنّ الحداثة قد شككت في الأديان وصحة الكتب المقدسة (السلطاني، 2018، ص 24).

والمقصود بالتحديث هو كلّ المحاولات التحديثية التي لا تستمد مصدرها من داخل البنية الاجتماعية، بل تُفرض فرضاً من قبل قوى خارجة عن تلك البنية، كحالات فرض التماذج والمؤسسات والقيم التحديثية الغربية على "العالم الثالث" عن طريق توظيف الوسائل السياسية والأيديولوجية والثقافية بترساناتها التقنية ووسائطها الاتصالية الحديثة، التي تسعى إلى تشكيل قطيعة مع النمط التقليدي السائد، وهو ما يؤكد عالم الاجتماع الفرنسي جون بودريار Jean Baudrillard باعتقاده أنّ هذه

وغالبا ما تشتد مقاومة المجتمعات التقليدية ومعارضتها للتحديث بحكم الأرضية التي نشأت فيها ومخزونها الثقافي والمعرفي، لذلك يُعتقد أنّ التحديث والتغريب شبه مرادفين (بودون وبوريكو، 1984، ص 148-154)، ما يعني أنّ التحديث هو عبارة عن تغيير يتجه نحو تبني نموذج واضح وواقعي من القيم والسلوك والتفكير وتوزيع الأدوار... الخ، فيُشترط فيه أن يكون مواكبًا للتطور التقني للمجتمعات الصناعيّة وتنظيماتها العقلانية، ويتضمن بذلك عوامل القطيعة والتحوّل الذي لا رجعة فيه إلى النموذج التقليدي.

4. علاقة الخطاب الديني بالحدّات:

وبالرغم من انتشار التوجه الصريح المناهض للدّين وخطاباته، وتزايد محاولات تحييد البعد الدّيني واستبعاد تأثيراته المختلفة، فقد ظهرت إسهامات ماكس فيبر Max Weber (1864 – 1920) التي أعادت للدّين بعضًا من مكانته السابقة؛ إذ لم يكن غريباً أن يحتفى هذا الفيلسوف الألماني بدور الدّين في تأسيس الفكر الرأسمالي الغربي، وذلك حين وضع كتابه الشهير

"الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" في طبعته الثانية 1920 بعد أن نقح وأضاف ردود الأفعال على الطبعة الأولى التي صدرت آخر عام 1904.

وكان من المثير أن ينحاز فيلسوف مثل فيبر — باعتباره من أشهر الفلاسفة المنظرين للفكر العقلاني في أوروبا — ويبدل جهداً مُضنياً في سبيل البرهنة على دور الدين في دعم مسيرة الحداثة والتنوير الأوروبية بإثبات درجة العقلانية التي يمنحها الدين للفكر الاقتصادي، وتأثيره على النشاط التجاري «الرأسمالي» في المجتمعات الغربية، بحيث تتأسس العلاقة بين الدين والحداثة من خلال قدرة الدين على عقلنة السلوك الفردي، نقيض المنطق الذي كان سائداً آنذاك، والذي يؤكد على وجود تعارض واضح بين النشاط الاقتصادي والممارسة الدينية والأخلاقية، باعتبار أن علم الاقتصاد الحديث هو علم عقلائي وموضوعي، في حين أن الدين يقوم على استحواذ البعد الأخلاقي على ممارسات الفرد وليس هناك مجال للحسابات الموضوعية الرشيدة بحسب أنصار هذا الرأي.

تأسست قدرة فيبر على إثبات تلك العلاقة "السحرية" بين الدين والحداثة على منهجية علمية موضوعية، استندت إلى تحليل العلاقة الإمبريقية بين المعرفة والأخلاق، حيث يرى أن عملية سلب العقلانية من الدين هي نتيجة للعقلنة العلمية للعالم (هيرفرد ووليام، 2005، ص 84-86)، ومن جهة أخرى يرى فيبر أن في مواجهة هيمنة العقل يصبح الدين بمثابة خط الدفاع الأول عن الحداثة والتنوير، باعتقاده أن ما يقدمه العقل لن يكون أقصى معرفة فكرية تتعلق بالجمال القياسي المعياري، إنما هو عبارة عن اتخاذ موقف نهائي من العالم، في حين يكشف الدين عن المعنى الحقيقي للعالم عبر إضفاء الصفة الداخلية على وضعه الاجتماعي والمعرفي، ليس بوسائل الفهم والإدراك وإنما بإظهاره وإعلانه عن ما يسميه ما كس فيبر بكاريزمية التنوير (فيبر، 2015، ص 222).

وباحتكاك المجتمعات الإسلامية المباشر بالحداثة الأوروبية أثناء حملة نابليون بونابرت على مصر أضحت هذه المجتمعات تعيش تحديات كبرى، وازداد وضعها تأزماً بعد انحلال الخلافة العثمانية؛ وأمام ضغط القوى الاستعمارية التحديثية حاولت بعض التيارات الدينية اصطناع إيديولوجيات إصلاحية مُجددة لخطابها الديني بين سنتي 1870 و 1940 يتزعمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم، بغية إعادة بناء المجد الإسلامي (المراكشي، 1992، ص 10)، لقناعتهم أن زمن التغيير قد حلّ، فلم تتم الاستجابة الذاتية والداخلية لدعوات التجديد والإصلاح لعوامل موضوعية، أهمها عدم وجود الاستعداد المجتمعي الكافي لذلك، وترك بذلك المجال مفتوحاً أمام الدول الغربية المسيّدة للحداثة والممسيكة بزمامها والمستمرة فيها لتولي مهمة التحديث العسيرة بكل ما تحمل من إكراهات ومخاض وآلام.

وتأثر الخطاب الديني في المجتمعات الإسلامية بانقسام النخبة إلى تيارات متعددة، منها:

■ الخطاب الديني المتبني للنزعة الماضوية التي لازمتها وجعلته أسيراً للماضي، بحيث تميّز بإعادة إنتاج مقولات الفقهاء وتمجيد الأسلاف والتغني بمجزاتهم، والبحث في الماضي عن حلول لمشكلات الحاضر والتوجس من التغيّرات المجتمعية، والقلق من

التطورات المستقبلية، والتحذير من الانفتاح على العصر وثقافته، وعطاءاته الإنسانية، فيهمل بذلك حاجات المتلقين العملية وهمومهم اليومية، ويركز على القضايا الفقهية النظرية بأسلوب بياني يستعرض فيه القدرات اللغوية المختلفة، مبتعداً بذلك عن جل القضايا المعاصرة ذات البعد الإنساني كالمشاغل التنموية، وحقوق الإنسان، والحريات... الخ، وغالباً ما يرتبط هذا النوع من الخطاب الديني بالزعة الاتهامية للآخر المختلف، وإلقاء اللوم عليه، واتهامه بالتأمر عليه، وتحميله مسؤولية تخلفه ومشاكله المتعددة.

■ الخطاب الديني الذي يدعو إلى تبني عقلانية تختلف تماماً عن العقلانية الغربية، بحيث تتسم العقلانية الإسلامية بالمزاوجة بين العقل والنقل، فيتم نفي أعمال العقل أي الاجتهاد مع وجود نصٍ ديني قطعي الثبوت والدلالة، ويسمح لذوي الاختصاص الديني فقط ببذل الجهد في تأويل النصوص الظنية الثبوت والدلالة، وفهم جوهر النص الديني، وبيان مدى تحقق العلة الغائية والمقصد الشرعي منه (المذعوري، 2014، ص58)، ويدعو إلى الاستفادة من المنجزات المادية للحداثة الغربية، وذلك بتوظيف الوسائل الحديثة كالفضائيات والأنترنت والمواقع الإلكترونية والفيسبوك والتويتر... الخ في مخاطبة الناس، والتي تمتاز بسهولة الوصول إلى الجماهير وبقوة التأثير في اتجاهات المتلقين، وتدعو خطباء الدين إلى ضرورة استيعاب قواعد العلوم المعاصرة التي تخصّصت في دراسة اتجاهات الجماهير وفنّ مخاطبتهم، والعوامل المؤثرة في تشكيل الرأي العام.

■ الخطاب الديني الحداثي، والذي بدأت تظهر بعض ملامحه عندما تعالت بعض الأصوات المنادية بضرورة تبني خطاب ديني معاصر يفتح كلّ أبواب التحقق من دينية النص ومساءلته وفحصه والتفكير فيه ونقده بحرية وبغض النظر عن رأي السلف في دلالته ومعناه، وعدم استبعاده عن الحياة المجتمعية المعاصرة، فهو بذلك يدعو إلى تشكيل قطيعة تاريخية بين ماضي المجتمعات الإسلامية وحاضرها.

ولا يكفي بذلك، بل يعمل على تجاوز الدغمائية الدينية التي تنطلق من مسلمات بسيطة تضعها خارج دائرة التفكير البشري، وإبعاد النص الديني عن لغة العاطفة والشعارات الأصولية والقراءات الماضوية، وإخضاعه لسياقه الزمني والمكاني، وضرورة تطبيق طرائق وأساليب العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة لفهمها والاستفادة منها.

إنّها باختصار الثورة الإستمولوجية الدينية الذي دعا إليها أحمد لطفي السيد وإسماعيل مظهر وقاسم أمين وطه حسين وعبد العزيز فهمي وفؤاد زكريا وفرج فودة، ولا يزال يدعو إليها أمثال أركون وأدريس وعلي حرب وحسن حنفي ونصر حامد أبو زيد وعبد المجيد الشرفي وغيرهم..، وقد يتم تقبل إحالة الخطاب الديني إلى الاعتماد على منظومات معرفية أوسع وأكثر تفتحاً وإحاطة بما أضافته الحداثة العلمية من نظريات وتأويلات واكتشافات وحقائق علمية، وفك عقدة الانسداد التاريخي، عوض الانغلاق الكامل داخل يقينيات القرون الوسطى، شريطة أن لا يمس الأمر العقيدة الإسلامية في محتواها وممارساتها.

لم يكن يعرف العالم الإسلامي تنوعاً في خطاباته الدينية من قبل، ما يعني أنّ هذا التنوع هو من إفرازات الاحتكاك بالحداثة الغربية ومن نواتج الانبهار بكل تفاصيلها والرغبة في الاستثمار فيها، وذلك بتهيئة الشعوب الإسلامية للتحديث واللحاق بركب

الدّول المتقدمة، عن طريق تحديد أنماط تفكيرها ثم استيعاب مكتسباتها التقنية والعلمية والإدارية الجديدة، ولاكتشاف بذور وجذور هذه العلاقة بين الخطاب الديني الإسلامي والحداثة الغربية سنحاول تتبع المراحل التي مرّ بها هذا الخطاب وربطها بالتحوّلات المجالية التي شهدتها الدّول الإسلامية في عمومها نتيجة احتكاكها بدول الغرب.

5. مراحل تطور الخطاب الديني الإسلامي:

استمر احتكاك المجتمعات الإسلامية بالحداثة الغربية بعد حملة نابليون بونابرت على مصر، وشهد العالم الإسلامي نكسات عديدة منها انفصال الوحدة المصرية السورية 1961، وحرب اليمن 1965، والهزيمة أمام الكيان الإسرائيلي 1967، وإجهاض ما كان يسمى بمشروع النهضة بعدم تحقيق أي تراكم علمي نوعي في ميادين الصّناعة والتكنولوجيا وبناء الدّولة الديمقراطية وهيكل المجتمع المدني، ما جعل الخطاب الدّيني يحاول في كلّ مرة التأقلم مع المستجدات التي فرضتها عمليات التحوّل والتحديث، فمرّ الخطاب الدّيني الإسلامي في علاقته بالتحديث بمراحل من التناغم أحياناً ومن المواجهة في أحيانٍ أخرى، نلخصها فيما يلي:

أ- المرحلة الأولى: تكشف هذه المرحلة التي يمكن تحديدها بالفترة الممتدة بين القرنين العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين ملامح شكلين متقاربين نسبياً من الخطابات الدّينية الإسلامية؛ فيتبنّى أحدهما لغة اختزال الآخر وتنميطة والحديث عنه على نحو يسلبه من جوهره الإنساني الذي كرمه الخالق بصرف التّظر عن لونه ووطنه ومعتقده، فيحمل بذلك ثقافة مأزومة يخافها العالم وتخافه، وتستشعر الكثير من العجز وفقدان المرونة، وشكل آخر يتفادى التصادم بالآخر قدر الإمكان، كآلية للدفاع عن الذات والتوجس من الطفرات المعرفية الإنسانية المعاصرة، فيغلب على هذا الشكل خطابٌ يلوذ إلى الماضي ويحتمي به، ويقفز عن الواقع وما ينطوي عليه من مشكلات التطور الثقافي في بنية وتكوينات الخطاب الإسلامي؛ بحيث كان هذا الأخير يتعامل بمنطق الرّفص والشك لكل ما هو حديث، ولا يقبل الاقتران به بحكم ارتباط التحديث بالخلال الخلافة العثمانية، ومحاولات الغرب إقناع المسلمين ونخبهم الفكرية على وجه الخصوص بالتحديث وتجاوز عقبة رفض تقبل النموذج الثقافي والقيمي الغربي.

ب- المرحلة الثانية: يبدو أنّ الخطاب الإسلامي المعاصر في عمومها قد تجاوز الكثير من التباسات وهواجس ورواسب المرحلة الأولى، وذلك ببداية تنويع رؤيته لما يحيط به من أحداث وظواهر، نظراً لتسرب العديد من المظاهر الحداثيّة أثناء هذه المرحلة الثانية إلى قطاعات واسعة من واقع حياة المسلمين الفكرية والقيمية والفنية (الميلاد، 2004، ص 199-200)، وقد كان لتأثر المسلمين بالصدمتين -سقوط الخلافة العثمانية، والتّخلي النّسبي للدّول الإسلامية الحديثة في مرحلة ما بعد الاستعمار عن جانب من الهوية الدّينية والمرجعية الإسلامية- بالغ الأثر في تعيّر تمثيلات الخطاب الإسلامي للتحديث، وبداية التعامل مع هذا المفهوم بمنطق الحذر، وكان الهاجس الأساسي في هذه المرحلة هو محاولة ضبط هذا المفهوم كي لا يتعارض مع المعتقد الإسلامي، ولعل المحاولات الأولى المبكرة في هذا الشأن تعود إلى المحاضرة التي نشرها المفكر السوداني حسن ترابي عام 1974 بعنوان: "الفكر الإسلامي، هل يتجدد؟" وحاول بذلك أن يلفت التّظر إلى أمرين مهمّين، هما:

أولاً: ضرورة تحول الخطاب الإسلامي من الحديث عن الغزو الفكري الأجنبي إلى الحديث عن الضعف الذاتي في الفكر الإسلامي، والالتفات إلى علله الداخلية ومظاهر تقصير المسلمين.

ثانياً: تحديد مجال التغيير والتجديد والتطوير والتحديث؛ فيعتقد الترابي أنّ الإسلام دينٌ أزلي خالد لا مكان فيه للتغيير؛ بل الذي يتقادم ويتجدد هو الفكر الإسلامي، وهذا الأخير هو التفاعل بين عقل المسلم وأحكام الدين الأزلية الخالدة (ترابي، د.س، ص23).

ج- المرحلة الثالثة: وانطلاقاً من هذه المرحلة وجد الخطاب الإسلامي نفسه مدفوعاً بقوة نحو التحديث، ولم يعد لتلك الهواجس والإشكاليات السابقة من أثر عند أغلب المسلمين، وتحول بذلك التعامل مع هذا المفهوم من منطق الحذر إلى منطق الاندفاع، ومع الارتفاع النسبي للمستويات التعليمية وتطور تكنولوجيات الاتصال، تعرض الخطاب الديني باستمرار للمساءلة والنقد والإحراج، فعقدت ندوات وملتقيات ومؤتمرات فكرية مخصصة لذلك، ما أسهم في بلورة بواغث تحديث الخطاب الإسلامي، حتى استغل أولئك "الدعاة الجدد" جميع الوسائل المتاحة لنشر أفكارهم، مع تمكنهم من التعامل مع أدوات الحداثة ومنجزاتها توغلوا في الفضائيات والانترنت، وأظهروا خطاباً إسلامياً متبايناً شكلاً ومضموناً عن الخطاب التقليدي؛ إذ أنهم لا يلتزمون بزي الداعية المألوف، ولا بلغته الخطابية التراثية القديمة، ولا حتى بالموضوعات المعتاد سماعها، ويقدمون دروسهم بأسلوب جديد يعتمد على الإلقاء بطريقة درامية متميزة تصل بالمتلقين إلى درجة عالية من المتعة والتشويق (لطفي، 2005، ص03).

ولم يكن المرور من مرحلة إلى أخرى يتم دون تعرض هذا الخطاب لنكسات فكرية خطيرة بظهور تيارات إسلامية أصولية متطرفة تدميرية تنتمي إلى فكرٍ قديم لا يرغب في التواصل مع العصر، ولا يتناغم مع المدنية ولا يعبر عن الجوهر الحضاري للدين الإسلامي.

وبالرغم من ذلك، فقد ساهمت هذه الأصولية المتحجرة في إسراع تغيير رؤية الخطاب الإسلامي لمفهوم التحديث وفي طريقة التعاطي مع هذا المفهوم لتحسين صورة الإسلام، وتطوير سبل التواصل مع العالم، والدفع بالمسلمين لمساندة الأفكار المتعلقة بتعارف الحضارات وحوارها بغية التغلب على التضيق والتشدد والتكفير، وترسيخ نهج الوسطية والاعتدال كنوع من التناغم والملاءمة مع أوضاع ومتطلبات الحياة العصرية.

6. الحالة الجزائرية: التحديث ومتطلبات الخطاب الديني:

لقد كان احتلال الجزائر مظهر من مظاهر تنامي تسلط الرأسمالية الغربية لاغتصاب أرض وثروات الشعوب الضعيفة، بدعوى تحضير هذه الشعوب وترويضها، فخلّفت عمليات التحديث القسري الفرنسي آثاراً وخيمة على المجتمع الجزائري، بعد محاولات

تحويل ثقافته وقيمه وإعادة إنتاجها من جديد بشكل يتماشى مع ثقافة المهيمن، ما أدّى بالجزائريين إلى رفض كلّ له علاقة بثقافة المستعمر وكلّ مبادرة يقوم بها، حتى وإن كانت تبدو لصالحهم، فقد ذكرت إيفون توران رفض "الأهالي" الاستفادة من الخدمات الصحية المجانية التي كانت تقدّمها السلطات الفرنسية، نتيجة موقفهم من ديانة الطبيب الفرنسي، وتوظيف الفرنسيين للتطبيب من أجل فرض المزيد من الهيمنة (Turin, 1983, p23)، وهو ما يُفسر عجز الجزائريين حينها في بناء علاقاتهم بمؤسسات الدولة الفرنسية، وشعورهم المزمن بأنّها تهيمن على حياتهم عوض أن يسيطروا هم عليها، فتضيع بذلك حقوقهم، وتتبدد طاقاتهم الإبداعية، ويزداد إحساسهم بالاغتراب اتجاه هذه المؤسسات وثقافتها، ويتجنبون الامتثال الطوعي لإرادتها وقيمتها، حتى أصبحت دائرة حصار هذا التحديث القسري تضيق عليهم باستمرار، ما زاد في شعورهم بالاغتراب والعجز عن مواجهة تحديات هذا التحديث الغريب عنهم، وصعوبة تجاوز أوضاعها وإعادة بناء ثقافتهم من جديد.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الإحساس فقط، بل قد تسببت هذه الحالة من الاغتراب بمشكلات تتصل بالتفكك الاجتماعي والثقافي والسياسي، وما يصاحب ذلك من تدهور في القيم، ومظاهر للتبعية والطبقية والطائفية والفتوية والسلطوية، حتى سادت علاقات القوة والنزاع بدلاً من علاقات التعايش والتضامن والتفاعل الحر والاندماج الطوعي، ومن هذا المنطلق يمكن فهم المواقف السلبية للجزائريين لكل المبادرات التحديثية الفرنسية حينها.

وقد تحولت الروابط الجهادية إلى تنظيمات دينية سياسية، أسهمت بعد احتلال الجزائر في تحريك الشعب نحو المقاومة، وتحوّل بذلك الخطاب الطرقي من طابعه الحوارى الإقناعى والإصلاحى الذى يدعو إلى الزهد والتقىشف إلى خطاب جهادى ثورى ضد الغزاة، والتف الشعب حولها وقادت الطرقية حركات المقاومة الشعبية واستطاعت أن تتصدى بشجاعة لقوات الغزو الفرنسى، قبل أن تُحاصر اقتصادياً حينما استولى المستعمر على الأملاك الوقفية، وتعرض هذه المقاومات لهزائم عسكرية لأسباب موضوعية، وتُصاب الطرقية بالتعب والتراجع نتيجة القهر الاستعماري، وتنزوي على نفسها ويتحول بذلك خطابها تدريجياً إلى الشعوذة والدجل وتبني البدع والخرافات التي وجدت الأرضية الملائمة عند الفئات الجزائرية الفقيرة والامية.

وشجعت سلطات الاحتلال هذا الخطاب الدينى الطرقي، واستغلته لأمرين أساسيين، هما:

✓ تهدئة نفوس الجزائريين، بحيث لم تجد السلطات الفرنسية سوى بعض رجال الطرق الصوفية الراضخين لإدارتها لتهدئة نفوس الأهالي الثائرين والناقمين والصامدين إزاء الممارسات الثقافية التغريبية، كإرغام الجزائريين التوجه إلى المدارس الفرنسية المرفوضة حتى أنّهم نعتوا تلك المدارس بمدارس الشيطان (لوصيف، 2017، ص 305-306).

✓ الوقوف أمام تطلعات حركات الإصلاح والتنوير ومواجهتها حتى اشتد الصراع حينها بين الخطابين وتبادلا التهم، فترجع المدّ الطرقي في هذه الفترة (حمدي، 2001، ص 75) مقابل بروز الخطاب الإصلاحى واحتلاله مساحات هامة من عقول الجزائريين وقلوبهم نتيجة التجسيد الفعلي لفكرة الإصلاح بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين التي حوّلت مضامين الخطاب الإصلاحى المستوحاة من أفكار محمد عبده ورشيد رضا على وجه الخصوص إلى واقع على

شكل مدارس ومساجد وجمعيات إصلاحية منتشرة على أغلب مناطق الجزائر، مدعمةً بذلك الخطاب السياسي الوطني الذي تحوّل إلى خطابٍ ثوريٍّ فيما بعد، ومتصديةً للخطاب السياسي الاندماجي المدعّم لأطروحة الفرنسية والتجنيس.

ولم يتوقف هذا التحديث القسري باستقلال الجزائر؛ بل استمر على شكل اختراقات اقتصادية وثقافية على وجه الخصوص، مع التغير من آلياته حتى أصبحت ناعمةً ومؤثرةً في ظل انتشار ثقافة الصّورة واقتصاد السّوق، وهيمنة ثقافة الحداثة وسيادة معاييرها على كافة العلاقات الاجتماعية، وزاد من ذلك تدفق موجات الحضارة الغربية وإفرازاتها في شتى المناحي الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى بدأت تظهر ملامح تنميط هذه الدّول المسيطرة على العالم وتوحيده وهيمنة عليه ثقافيا واقتصاديا بالتشجيع على نشر أنماط استهلاكية تحبذ الاستهلاك وتشجعه، وتحاول السيطرة على معالم الرؤية والتقييم العالميين للواقع المعيش، فتراجعت قيم التضامن والتكافل الاجتماعي وحلّت محلها قيم المنفعة والأنانية وتحقيق المصلحة المادية، والإقبال العشوائي على اقتباس كلّ ما يرد من الخارج رغم ضلّالته ونزوعه الاستهلاكي (بركات، 2006، ص ص6-7)، وأصبح هم الجزائري هو اقتناء آخر ما توصلت إليه الابتكارات التقنية الغربية دون حتى التفكير في كيفية تعلمها وكسب مهارات الإبداع والابتكار، وهو يسميه السوسولوجي إدغار موران Edgar Morin بالتقنيات الجاهلة التي أسهمت بقدر كبير في إنتاج تفكك اقتصاديات المجتمعات التقليدية وتدهور توازنها البيئية والثقافية والسوسولوجية (موران، 2009، ص29).

حتى صارت أحاديث الناس في مجالسهم لا تخرج في الغالب عن إطار التفاخر والمباهاة بما يمتلكون وما يجودون به، وبما أنه لم يكن ممكناً للأفراد التنازل كلياً عن قيمهم التقليدية، فقد ظهرت بشكل جلي سمة الازدواجية على عقول الأفراد بين الحقيقة الذاتية والحقيقة الواقعية، فولدت تناقضات كثيرة ومعقدة في بنية تندمج فيها الثقافة التراثية والثقافة الحديثة المؤسسة على الانتقائية العشوائية، بحكم أنّ هذه الثقافة الحديثة قد بُدِرت في أرض غير مهياةٍ وفي تربة غير تربتها، فتمّ استقبالها بشكل خاص مختلفٍ تماماً عن منبتها الأصلي.

وكان الوضع أصبح شبيهاً إلى حدٍ ما بما حدث في أوروبا من تفكك للقيم والمعايير الاجتماعية والثقافية، وفقدان السيطرة على السلوك الإنساني وضبطه، نتيجة الثورة الصناعية وما رافقها من بروزٍ للروح الرأسمالية وإضعافٍ للقيم والمعايير التقليدية، وهو ما سماه دوركايم باللامعيارية L'anomie في مؤلفاته .

وأمام كلّ هذه التّحولات الثقافية والقيمية، تتساءل عن موقع الخطاب الدّيني وموقفه منها، ويبدو أنّ هذه الديناميكية الاجتماعية قد تجاوزت هذا الخطاب واتسعت الهوة بين مضامينه والواقع المعيش، وقد تُرجع سبب ذلك إلى ما شهدته الساحة الدّينية في الجزائر حينها من مخاضٍ عسير؛ إذ أنّ إلغاء الإطار الجمعي الرّسمي لجمعية العلماء المسلمين بعد الاستقلال الوطني سنة 1966م (Khalladi, 1992, p15) قد شكّل نقطة تحوّل في مسلكية الاتجاه الدّيني في الجزائر بتموضع أحد ممثليه

في تقابل مع السلطة، فيغذي بذلك وجوده وانتشاره وتوقعه وتأثيره من إفرات التناقضات التي تحكم العلاقة بين المجتمع والدولة، واتخذ من الأشكال التنظيمية المغلقة والأساليب السرية وسائل لتبني التغيير الراديكالي باستيعاب وتوظيف أبعاديات الواقع المجتمعي المتغير، حتى استطاع استقطاب بعض الأوساط المجتمعية الجزائرية "المهمشة" مُستثمرًا بذلك رأس مالها الديني الأصيل، ومُستغلًا ثغرات البناء الاجتماعي ومؤسساته التنشئية نتيجة الخلل الوظيفي الذي أصابها. وتوزع التيار الديني حينها في الجزائر إلى مجموعات دينية متباينة الخطاب نتيجة تعدد مشاربها الإيديولوجية وتصورات الدينية للحدث الغريب، وقد صنفها عروس الزبير إلى:

- المجموعة الدينية الإخوانية: والتي تشكلت في سياق التنظيم العالمي للإخوان المسلمين المصري نتيجة الاحتكاك التعليمي والثقافي بين الجزائر ومصر في إطار سياسة التعريب والتأطير التعليمي والجامعي منه خاصة، فتمكنت أفكار وتوجهات هذا التيار بفضل خطابها الديني المعتدل أحيانًا والمعارض دومًا للقيم التحررية التي تتبناها الحدث الغريب من النفاذ إلى الأوساط المجتمعية.
- المجموعة الدينية السلفية: وتعتبر امتدادًا لأصولها التي ترجع إلى المذهب الوهابي الذي أسسه محمد بن عبد الوهاب في نهاية القرن الثامن عشر 18م في الجزيرة العربية، والذي تمكن من الانتشار عن طريق الزوار والحجيج الذين يتوافدون على البقاع المقدسة بالملكة العربية السعودية، ويخضع خطابها الديني إلى مرجعية مؤسسها التي تتبنى الفكرة التوحيدية.
- المجموعة الدينية الجهادية: وتعود هذه المجموعة الراديكالية إلى موجة العنف الديني المسلح الذي ظهر في مصر وتبنته الجماعة الإسلامية المسلحة، وجماعة الجهاد في سبعينيات القرن العشرين، ثم انتشرت أفكار وتصورات هذا الاتجاه ليصبح فيما بعد تنظيمًا عالميًا، فكانت ولادته في الجزائر سنة 1979 بقيادة مصطفى بويعللي الذي دخل في مواجهات عنيفة مع السلطة، ويعلن الخطاب الديني لهذه المجموعة معاداتها الصريحة للحدث ومخلفاتها، وتعتبرها كفرًا يقتضي محاربته.
- المجموعة الدينية التبليغية: تمخضت أصول هذه المجموعة من باكستان والهند، فكان ميلاد جماعة الدعوة والتبليغ ذات المنحى الصوفي الذي يحرص على التربية الروحية والأخلاقية فقط دون التدخل في الشأن السياسي أو الاجتماعي والاقتصادي، فانتشرت في بعض المناطق الجزائرية، وتتميز خطابها الديني بتجاهل الحدث، وانتهاجه للأساليب التقليدية في محاولات بلوغ أهدافها (عروس، 1995، ص 95).

ويبدو أنَّ عروس الزبير قد أغفل عن إدراج مجموعة دينية أخرى لا يزال حضورها واضحًا في الواقع الجزائري، وهي المجموعة المتصوفة التي شكلت الإطار الثقافي المستجيب للدين الشعبي في الجزائر، ورغم ارتكازها في فترة زمنية سابقة على الذهنية الخرافية، فقد أعتبر ذلك انحرافًا عن التصوف الحقيقي، بعد أن قام التيار النقدي الداخلي الذي عُرف بحركة التصوف الإيجابي بإحداث تغييرات معتبرة في جوهره غير أنَّ الخطاب الديني المتصوف لا يزال يعاني من السطحية في طرح مختلف قضايا الواقع،

ولما يتمكن حتى من تطوير ذاته، «ناهيك عن تشكيل اتجاه عقلائي يصد الانحدار الحضاري المستمر» (مرموم، 2008، ص114).

لذلك يمكننا القول أنّ علاقة الخطاب الديني الإسلامي في الجزائر بالحداثة لا تزال ملتبسة، نتيجة تمثلات الجزائريين لها بسبب الممارسات التحديثية الاستعمارية العنيفة، ما جعل موضوع العلاقة مع الآخر نقطة محورية في جل الخطابات السياسية والدينية، ويبدو أنّ المسألة المتعلقة بالرغبة في الانفصال عن الآخر أيّا كان سببها أصبحت غير ممكنة في راهننا ليس بسبب تقدم تكنولوجيات الاتصال فحسب، بل لأنّ طبيعة الحياة المعاصرة في مجالات البحث والعمل والاقتصاد وتنظيم المدن والإدارة تقود حتمًا إلى التشابك والتداخل في المستويين الفكري واليومي بين كلّ الثقافات والمجتمعات الإنسانية .

وما زاد الموقف الجزائري تشكيكًا في خلفيات التحديث وساهم في رفع مستويات المواجهة هو فرض الغرب لرؤية انتقائية ومُلفقة أحيانًا للإسلام، والتي نجد بعضًا من أسسها لدى المستشرقين، وقيام الغرب بتأييد التفسيرات الدينية المتوافقة مع مصالحه الخاصة، وتشجيعه لقراءات النصوص الدينية الإسلامية التي تحاول عزل هذه النصوص وإخراجها عن سياقاتها التاريخية، كي تورط الإسلام، وتلصق به تُهمًا كمعاداة الآخر المختلف، والإرهاب، وهضم الحقوق... الخ، وأصبح يُعتقد أنّ التحديث مرتبط بالسعي نحو محاولات النفاذ إلى النصّ الديني والتشكيك في صحته، حتى أنّه يتم في أحيان كثيرة معاداة المحاولات التجديدية النظرية للتراث الديني الإسلامي واتهامها بالإلحاد والشيوعية والعلمانية... الخ، مقابل الترحيب بالنزعة الخطابية الانفعالية المتملقة لعواطف الجماهير، والمضادة لكل محاولات تحديث الخطاب الديني الإسلامي.

ما جعل التطرق إلى علاقة هذا الخطاب بالحداثة والتحديث يخلف مساجلات حامية الوطيس، فيفضل بذلك بعض دعاة تغيير الخطاب الديني توظيف مفاهيم أخف حمولة أيديولوجية وأقل استفزازًا على غرار التجديد والتطوير والتحسين والإصلاح... الخ، كبديل عن مفهوم التحديث لمحاولة التخلص من خليفاته الأيديولوجية، ويبدو لي أنّ جل هذه المفاهيم تشير إلى محاولة اكتشاف الحداثة من داخل المرجعية الإسلامية، عندما تسعى إلى جعل الخطاب متغيرًا، والإسلام ثابتًا، ودون الحاجة إلى الخضوع للنموذج الحداثي الغربي، ومحاولاته التحديثية، وقد يتحقق هذا التغيير المنشود في الجزائر بفضل العناصر الخمسة الآتية:

✓ الوعي بضرورة مراجعة الخطاب الديني الإسلامي، والذي سيؤدي إلى الكف عن تبادل التهم التي قد تصل إلى حد التكفير.

✓ تحديد مفاهيم التجديد والتحديث والتطوير، التي تتموقع بين حالة الجمود والتحجر من جهة، وحالة التبعية والاستلاب من جهة أخرى، وذلك بالتعاون بين المؤسسات الدينية والعلمية والمراكز البحثية لبلورة نموذج ثالثٍ وخاص بالخصوصية الثقافية الجزائرية مرجعيته الإسلامية.

- ✓ علاقة الخطاب بذاته، وذلك بتغليب النزعة المعاصرة على النزعة التراثية القديمة، للتخلص من إشكالية الاحتباس في ما يسمى بالماضي الذهبي.
- ✓ علاقة الخطاب بسياقه الزمني المعاصر، وذلك بإكسابه القدرة على مواكبة العصر وشروطه ومقتضياته، دون المساس بالأساس الأنطولوجي للوحي.
- ✓ ضرورة تكوين الدعاة روحياً وعلمياً وفكرياً وفق متطلبات النموذج الجديد، وتنمية مهاراتهم التواصلية، وتشجيع الاجتهاد الجماعي لإيجاد حلولٍ لمستجدات العصر.

7. خاتمة

لا تزال المجتمعات الإسلامية مترددة إزاء تبني قيم الحداثة الغربية، ما انعكس بشكل واضح على الخطاب الديني الإسلامي وجعله يتخبط بين واقعٍ متمزقٍ تغلب عليه الطبيعة المحافظة من جهة، ودعوات للنزوع نحو تحقيق الانسجام المناسب مع مظاهر التحضر والتقدم، وما من شك أنّ الفكر الإسلامي هو أحوج من أي وقت مضى إلى مزيدٍ من المنابر الفكرية الراقية، التي تصنع مساحات حرة للكتابة الجادة البعيدة عن التجريح والابتذال والتشكيك، وتعيد الأمل إلى المسار الحضاري لهذه الأمة، التي لا تزال تشكو من المعاناة المزدوجة؛ معاناة في علاقتها بنفسها وتراثها وهويتها، ومعاناة أخرى في علاقتها بالغرب وحداثته، وتسعى في الآن ذاته لتجاوز حاضرها المأسوي الناتج عن ذلك الإحساس العميق بالاغتراب عن الذات والمجتمع والدولة ومؤسساتها الحداثيّة، وأعتقد أن للجزائر خصوصيات سوسيولوجية تجعلها قادرةً دون غيرها من البلدان الإسلامية الأخرى في تجاوز هذه المرحلة بتبني خطاب ديني مكون من رؤية متقاطعةٍ تحاول تجاوز القراءة الأحادية النظرة، وتدعو إلى تعزيز مسائل الاندماج الاجتماعي والتمسك بالقيم والمعايير والرموز المشتركة.

8. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- إدغار، موران، (2009)، إلى أين يسير العالم؟، بيروت، الدار العربية للعلوم.
- محمد، أركون، (2005)، القرآن: من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، بيروت، دار الطليعة.
- السلطاني حكيم سلمان، (2018)، القراءة الحداثيّة للنص القرآني في ضوء تحليل الخطاب، الأردن، دار كنوز المعرفة.
- أكرم علي مسعود، المذعوري، (2014)، الخطاب الإسلامي الواقع والتجديد رؤية معاصرة، عدن، منشورات جامعة عدن.
- أنتوني، غدنز، (2005)، علم الاجتماع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- علي، أولملي، (1984)، الخطاب التاريخي: دراسة لمنهجية ابن خلدون، دار البيضاء، النجاح للنشر والطباعة.
- حليم، بركات، (2006)، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، بن منظور، (1418هـ)، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ريمون بودون، وفرنسوا بوريكو، (1986)، المعجم النقدي في علم الاجتماع، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- حسن، ترابي، (د.س)، الفكر الإسلامي: هل يتجدد؟، تونس، دار المكتبة الجديد.

- أحمد، حمدي، (2001)، جذور الخطاب الأيديولوجي الجزائري، الجزائر، دار القصة للنشر.
- الزبير، عروس وآخرون، (1995)، الدين والسياسة في الجزائر، الجزائر، موفم للنشر.
- مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز آبادي، (2009)، معجم القاموس المحيط، بيروت، دار المعرفة.
- عبد المجيد، لبصير، (2010)، موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم في السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، الجزائر، دار الهدى.
- لطفي، وائل، (2005)، ظاهرة الدعاة الجدد: تحليل اجتماعي، الدعوة، الثروة، الشهرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ماكس، فيبر، (2015)، مقالات في سوسيولوجيا الدين، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
- محمد صالح، المراكشي، (1992)، الأيديولوجية والحداثة عند رواد الفكر السلفي، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر.
- دانييل هيرفيد ليجه، وويليام جان بول، (2005)، سوسيولوجيا الدين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- Guy, Rocher, (1969), Le changement social, Paris, éd HMH.
- Aissa, Khelladi, (1992), Les islamistes algériens face au pouvoir, Alger, édition Alfa.
- Madeleine Gawitz, (2004), Lexique des sciences sociales, Paris, édition Dalloz.
- Yvonne, Turin, (1989), Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale: écoles, médecine, religion 1830-1880, Alger, ENAL.

● المقالات:

- حفصة جراي، وبن لحبيب بشير، (2016)، أهمية الخطاب الديني في التنمية الاجتماعية دراسة سوسيو دينية، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 07، العدد 01، ص ص 128-137.
- زكي الميلاد، (2004)، لماذا تأخرت مهمة تجديد الخطاب الإسلامي؟، مجلة التسامح، العدد 08، ص ص 197-206.
- سفيان، لوصيف، (2017)، الزوايا والحركة الإصلاحية بالأوراس 1880-1939، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 08، العدد 01، ص ص 302-314.
- المداخلات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، تاريخ انعقاد المؤتمر، عنوان المداخلة، عنوان المؤتمر، الجامعة، البلد؛
- محفوظ، رموم، (12/09 نوفمبر 2008)، الدغمائية الصوفية وحركة الإصلاح السلفي في الجزائر، الملتقى الدولي 11 حول التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، جامعة دراية أحمد أدرار، الجزائر.